فصلية علمية ـ محكمة نصف سنوية. دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الرابعة، العدد الثانی (المتوالي ٨)
ربيع و صيف ١۴٠٠ش/ ١٤٤٢ق. من صفحة ۶۹ الى ٨١

Biannual Scientific Journal *Current Studies in Nahj-ul-Balaghah*.
Vol. 4, No. 2, (Issue 8) Spring & Summer 2021; pp. 69-81

مقالۀ پژوهشی

Original Research

دراسة أسلوبية مقارنية للخطبة ٢٧ والرسالة ٢٨ من نهج البلاغة (المستوى التركيبي)

فاطمة بشارتي[١]، محمد غفوري‌فر*[٢]، مالك سالمي[٣]

تأريخ الاستلام: ١٤٤١/١٢/٠١ تأريخ القبول: ١٤٤٢/١٢/١٥

١. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة الفردوسي، مشهد، إيران
٢. أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها، جامعة كوثر بجنورد، بجنورد، إيران
٣. مدرس مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية العلوم الإنسانية، جامعة بيام نور، تهران، إيران

Significant Changes in the word of "Islam" and its Derivatives in the Approach of Rhetoric Comparable to Ignorant Poetry and the Quran

Fateme Besharati[1], Mohammad Ghafourifar*[2], Malek salami[3]

Received: 2020/07/22 **Accepted: 2021/07/26**

1. Ph.D. in Arabic Language and Literature, Ferdowsi University, Mashhad, Iran
2. .Assistant Professor Of Arabic Language And Literature Department, Kosar University Of Bojnord,Iran
3. Instructor in Arabic language and literature, Payame Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2022.54530.1222

الملخص

الأسلوبية هی منهج علمی وتطبیقی في دراسة وتحلیل النصوص وهی تحاول التعرف على الأفكار والذوات الداخلية للمؤلف عبر الظواهر الأسلوبية وكشف علاقتها بالمعاني المؤسسية. فهذه الدراسة وفقًا للأسلوبية المقارنية. تهدف الى دراسة أبرز مظاهر المستوى التركيبي في خطبة ٢٧ ورسالة ٢٨ لنهج البلاغة من خلال المنهج التركيبي – الإحصائی كما يحاول تبيين الفروق والتشابهات لهذين الأدبيين المختلفين. ومن خلال الدراسة المقارنية بين هذين النصين على المستوى النحوى تبيّن أن هناك الكثير من أوجه التشابه بينهما مثل غلبة تواتر الجمل الفعلية والإخبارية القصيرة، والطرق المتناسقة الأخرى، وعلى الرغم من وجود الاختلاف بين الأجناس الأدبيّة، إلّا أنّهما متقاربان في الأسلوب حيث يقدّمان دلالات وإيحاءات متشابهة للملتقى. على الرغم من أوجه التشابه الموجودة، فإنّ الاختلافات الكمية والنوعية في البنية النحوية، مثل النسبة العالية لاستخدام الاستفهام الإنكاري وتقنية التكرار النحوي، وأولوية أنواع الجمل في الرسالة، والاختلافات الأخرى، أدّت إلى سياق مختلف وفريد لكل منهما، وتستحضر المعاني الدلالية المناسبة لكل نص بطريقة فعالة ومقنعة في ذهن الملقى.

الكلمات الدليلية: الأسلوبية المقارنية، المستوى التركيبي، الإمام علي (ع)، نهج البلاغة، الخطبة ٢٧، الرسالة ٢٨.

Abstract

Stylistics is a scientific and practical method in the study and analysis of texts that tries to recognize the thoughts and inner selves of the author by recognizing the coordinates of high-frequency style and discovering their connection with the meanings institutionalized in the text. This research tries to explain the most prominent manifestations of the syntactic layer of sermon 27 and letter 28 of Nahj al-Balaghah in the context of comparative stylistics by descriptive-analytical method mixed with statistical method and tries to retrieve the differences and similarities of the stylistic coordinates of these two different literary genres and, finally, describe the style of each. By comparative study of these two texts in the syntactic layer, considerable similarities, such as the predominance of the frequency of current and short news sentences or their use almost equal to current modalities, bring the styles of the two texts closer together despite the differences in literary genres, and offer similar semantic implications to the audience. Despite these similarities, quantitative and qualitative differences in syntactic structures, such as the dramatic use of strict emphasis restrictions, the high frequency of use of denial questions, syntactic repetitions, and the predicate of sentence sections in the letter, and other differences, it has formed a different and unique texture for each of them and evoked semantic connotations appropriate to each text in an effective and convincing way in the mind of the audience.

Keywords: Comparative Stylistics, Syntactic Layer, Nahj al-Balaghah, Sermon 27, Letter 28, Imam Ali (AS).

*** نویسندۀ مسئول:** محمد غفوری‌فر

***Corresponding Author:** Mohammad Ghafourifar
Email: m.ghafourifar65@kub.ac.ir

المقدمة

يظهر فحص كل مقال أدبي وأسلوب كتابة المؤلف قدرته على خلق ابتكارات أدبية. ونتيجة هذه المعرفة هي تقييم أسلوب أو أسلوب كل مؤلف واختيار أفضل كتاباته. يختار كل أديب أو كاتب موضوعا وفقا لمعنوياته وبعد ذلك، يختار أسلوبا منسجما مع كلماته وأفكاره. «الأسلوبية نوع من التحليل الأدبي الذي يدرسُ الجوانب المؤثرة للغة المجازية وجماليات الصور اللغوية من خلال الأساليب اللغوية، وهذه الأسلوبية تهتم باللغة الرفيعة والمعقدة أكثر من اللغة البسيطة والسهلة» (فتوحي، ١٣٩٠: ٩٥). بعبارة أخرى فإن معرفة أسلوب العمل الفني تعتبر خطوة مؤثرة في سبيل معرفة عقائد وآراء صاحب هذا العمل.

من جملة النصوص التي تستحق الدراسة والتحليل الأسلوبي هي النصوص الدينية لاسيما نهج البلاغة. إنّ نهج البلاغة هي مجموعة من خطب ورسائل وكلمات الإمام علي عليه السلام وتعتبر من النصوص القديمة التي تسطع في سماء الفن والأدب وبعد كلام الله تعالى تحتل مكانة مرموقة للغاية، وهذا الكتاب نظرا إلى بنائه المستحكم وأسلوبه الأنيق والأصيل يعد أحد مصادر اللغة العربية. إنّ هذا العمل الفني الفريد يتمتع بأهمية فنية كبيرة وذلك نظرا لنوعية بنائه، ومفرداته، وطريقة تراكيب الجمل، والعبارات، وإستخدام الصناعات الأدبية والبلاغية، وقد ساعدت هذه الصفات على أن يحظى الإمام علي عليه السلام بأسلوب معين وخاص ولا نشاهد هذا الأسلوب البليغ عند غيره من الأدباء العرب السابقين والذين أتوا من بعده.

هذه الدراسة وفقًا للأسلوبية المقارنية تهدف الى دراسة أبرز مظاهر المستوى النحوي في خطبة ٢٧ ورسالة ٢٨ من نهج البلاغة لكي تعرف المتلقي بأفضل ما يمكن بالأسلوب الشخصي للإمام علي (ع). الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحتوى، وينقل المفاهيم المقصودة بصورة مؤثرة ومباشرة ، ويعرض معرفة جديدة من نهج البلاغة، بذكر الجماليات وقيمتها.

لإثبات فرضية البحث الدالة على أن أسلوب نهج البلاغة مبني على التشابه في الخطب والرسائل، وذلك لموهبة أمير البيان الغنية وقدرتة التي لا مثيل لها في نوعي الكلام والكتابة، بقدر الإمكان، قد تم التأكيد على اشتراك النصين في نفس الموضوع، والطول ودوافع الإنتاج وموقع المؤلف. ولو أن وجود بعض الخلاف أمر لا مفر منه بسبب سياق وأسلوب ومخاطب كل نص. ألقيت خطبة الجهاد بعد أن اجتاح جنود معاوية مدينة الأنبار الحدودية وانتهك الشاميون بشكل صارخ حياة وممتلكات وشرف العراقيين، في موقف توبيخ الكوفيين الضعفاء والمتمردين وتحريضهم على المشاركة في ساحة الجهاد؛ من ناحية أخرى، فإن رسالة الإمام الذي كتبت ردًا على رسالة معاوية ونفي أكاذيبه وشائعاته، تتميز بكثرة العتاب والكناية والإذلال.

منهج البحث

في السنوات الأخيرة، قدم الباحثون مناهج أسلوبية مختلفة كالوصفية والتكوينية والشكلية والبنيوية والإحصائية والمقارنية؛ على الرغم من أن هذه الدراسة قد درست وحللت النصوص بناءً على الأسلوب الوصفي، إلا أنه من أجل التعرف على قيم العمل الأدبي وكذلك التعرف على خصوصية المؤلف ولغته، فقد اتجه نحو الأسلوب التكويني؛ بالإضافة إلى فإن موضوع البحث والغرض منه، أي الدراسة المقارنية لأسلوب الخطبة والرسالة واسترجاع القواسم المشتركة والاختلافات بين هذين النوعين الأدبيين، يدخله في مجال الأسلوب المقارن. يعيد هذا النوع من الأسلوبية دور كل نمط في البنية الجمالية للنص من خلال الفحص المقارن للسمات الأسلوبية لبعض النصوص مع النصوص الأخرى (النحوي عدنان ، ١٤١٩: ١٧٦). وتجدر الإشارة إلى أن في هذا النوع من الأسلوب، بحاجة إلى نصين أو أكثر من مؤلفين أو أكثر متماثلين في الموضوع أو الغرض ، أو نصين أو أكثر من مؤلف واحد يختلفان في الموضوع أو النوع الأدبي. ومن أهم رواد هذا النوع من الأسلوب «إدوارد فيشلر»[1] و«كارل فوسلر»[2] (المصدر نفسه).

1. Edward Wechsler
2. Karl Vossler

أسئلة البحث

١. هل يختلف أسلوب الإمام علي (ع) في المستوى النحوي للخطبتين ٢٧ و٢٨ اللتين هما من نوعين أدبيين وقد نشأ من خطابين شفهيين وكتابيين متناقضين، متماثلان أو مختلفان عن بعضهما البعض؟

٢. ما هي الوجوه المشتركة والمختلفة بين خصائص الأسلوبية لهذين النصين ودوافع الإمام الخفية في هذه الاختيارات المتعمدة؟

٣. ما هي الوظائف النحوية التي أدت إلى الوحدة الفكرية والأيديولوجية لهذين النوعين الأدبيين؟

خلفية البحث

في مجال أسلوب نهج البلاغة، تم إجراء العديد من الأبحاث في شكل أطروحات وكتب ومقالات، بحيث يكون لكل منها قيمة نظرا لاهتمام مبدعيها الخاص بجانب معين من هذا الكتاب. المؤشر المميز لهذا البحث هو الاهتمام بالبعد المقارن للبحث وتطبيق المقارنات العلمية واللغوية بين الخصائص الأسلوبية للخطبة والرسالة المقصودة. ومن المقالات والأبحاث التي أجريت في أسلوبية نهج البلاغة: هي مقالة «*بررسی سبك‌شناختی فرمان حکومتی امام علی(ع) به مالك اشتر*»، بقلم محمد خاقاني التي طبعت عام ١٣٨٩ في الفصلية المحكمة كتاب قيّم لجامعة يزد. وكما كتبت مقالة أخرى "أسلوب خطبة الأشباح" بقلم علي نظري وآخرين، شتاء ٢٠١٤ في مجلة نهج البلاغة البحثية؛ لقد حاول مؤلفو هذه المقالة المحترمون تحليل هذه الخطبة بطريقة أسلوبية. ومع ذلك، فقد تم ذكر أهم المظاهر الأسلوبية لهذه الخطبة قليلا؛ كما تمت كتابة أطروحة «*بررسی اسلوب ندا در نهج البلاغه واغراض آن*»، بقلم مريم ناهدي فر بتوجيه من محمود خورسندي في جامعة سمنان. تم في هذه الرسالة دراسة وتقييم أسلوب النداء في نهج البلاغة وأغراضه ومعانيه الثانوية والمجازية.

الأسلوبية وعلم الأسلوب المقارن

"الأسلوب" في اللغة العربية مصدر ثلاثي مجرد، بمعنى التذويب وصب الذهب والفضة في القوالب (غلامرضائي، ١٣٨٢: ١٥) ومن الناحية الأدبية: "طريقة خاصة لإدراك الأفكار والتعبير عنها من خلال تركيب الكلمات واختيار الألفاظ وأسلوب التفسير. "الأسلوب يمنح العمل الأدبي جانبا خاصا، من حيث الشكل والمعنى، ويعتمد بدوره على الطريقة التي يفكر بها المتحدث أو الكاتب في الحقيقة" (بهار، ١٣٤٩: ١/ المقدمة).

تمت دراسة الأسلوب وتعريفه في العصر المعاصر من وجهات نظر مختلفة: يعتقد شميسا أن "الأسلوب هو الوحدة التي يمكن رؤيتها في أعمال المرء. وهي روح أو سمة شائعة ومتكررة في أعمال الشخص" (شميسا، ١٣٧٤: ١٦). تنشأ هذه الوحدة من عوامل وخصائص متكررة وملفتة للانتباه، وهي عوامل واضحة نسبيا ولكنها غالبا ما تكون غامضة. (المصدر نفسه) تأسس الأسلوب الحديث في بداية القرن العشرين نتيجة لدراسات تشارلز بالي من سويسرا. تسعى الأسلوبية إلى فحص النص جماليًا بغض النظر عن تاريخ المؤلف ومجتمعه وحياته ، وهي أمور خارج النص؛ كما يرى جورج مانون الأسلوبية على أنها دراسة السمات اللغوية التي يتم من خلالها إخراج النص من سياقه الإخباري ويتولى مهمة التأثير، جنبا إلى جنب الجمال الأدبي.

في السنوات الأخيرة ، قدم الباحثون العديد من مدارس الأسلوبية ، أحدها هو الأسلوب المقارن. من أهم رواد هذا النوع من الأسلوب إدوارد فيشلر وكارل فوسلر. (النحوي عدنان، ١٤١٩: ١٧٦).

هذا النوع من الأسلوب، بمقارنة بعض النصوص مع بعضها الآخر وتكييفها، يفحص سماتها الأسلوبية، من أجل فحص دور كل نمط في البنية الجمالية للنص. وتجدر الإشارة إلى أنه في هذا النوع من الأسلوب يتطلب نصين أو أكثر من نصين، أو عدة مؤلفين متماثلين في الموضوع أو الغرض، أو دراسة نصين أو عدة نصوص من قبل مؤلف واحد في الموضوع أو النوع الأدبي تختلف عن بعضها البعض ومقارنة الأنماط المختلفة في الاثنين منها (المصدر نفسه).

يتعامل الأسلوب المقارن مع العلاقة بين النصوص ليس من حيث تأثيرها على بعضها البعض، ولكن من

حيث السمات المشتركة والاختلافات بينهما.

المستويات اللغوية التي تدرس في المنهج الأسلوبي أربعة (الداية، ١٩٩٦: ٤٠٢) أو ستّة (عوض حيدر، ١٤١٩: ٣٠) وهي المستوى الصوتي، المستوى الصرفي والمستوى المعجمي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي والمستوى السياقي وقد جاء تركيز هذه الدراسة في هذا المنهج على المستوى النحوي.

المستوى النحوي

إحدى المستويات المهمة للنصوص الأدبية في أسلوبية هي المستوى النحوي. "المستوى النحوي هى مجموعة من التغييرات التي تحدث في مجال التركيب. "مجال التركيب هو نفس مجموعة العناصر المركبة التي تأتي في تسلسل، وهذه العناصر هي مركز مرافقة الكلمات والجمل والفقرات الكاملة، والتي يوجد بينها ارتباط لفظي ودلالي قوي." (فضل، ١٩٩٢: ٨٥-٨٦).

تقوم هذا المستوى من الأسلوبية بمساعدة علم النحو بدراسة بناء الجمل، وعلاقة الكلمات ببعضها البعض، وطرق تركيب الكلمات في الجمل والعبارات، وترتيب الكلمات وقواعدها، وتحليل الدور الدلالي للكلمات في جملة و... (فتوحي، ١٣٩٠: ٢٣٨). في المستوى النحوي أو الأسلوبية للجملة، يتم فحص الجملة من حيث محور الرفقة، وصلة الجمل، الجمل القصيرة والطويلة ونوع الجمل (اسم أو فعل) (محمود خليل، ٢٠١٠: ١٦٦ – ١٥٨)؛ وكذلك التغييرات التي تسبب الانحراف عن اللغة المعيارية، مثل دلالات أساليب الإنشاء (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، ...)، التقديم والتأخير، الحذف، التأكيد وإلخ (عوض حيدر، ١٤١٩: ٤٣).

الأشكال اللغوية خارج الإطار والقواعد النحوية للغة هي وحدات لغوية فردية لا يمكنها نقل المفاهيم بدون تكوين ومرافقة في بنية كبرى تسمى الجملة؛ ومن ثم، تلعب البنية التركيبية للجمل دورا حاسما في ظهور الأسلوب الفردي. يُنشئ نوع الجمل المستخدمة في النص، والنمط النحوي والخبري، وطول العبارات واختصارها، وربط الجمل وكيفية ارتباطها ببعضها البعض، وما إلى ذلك، أنواعًا مختلفة من الأنماط التي تعمل كل مكون من هذه المكونات، إلى جانب التردد العالي في العمل الأدبي، يشكل الأسلوب أو ما يسمى "الترتيب المميز" للكاتب أو المتحدث. بعبارة أخرى، يتعارض الترتيب المشار إليه مع الترتيب القياسي، ويشير إلى التراكيب النحوية والكتابية الخاصة بكل متحدث للغة. وكلما زاد بناء الكلمة في النص عن قواعد اللغة القياسية واستخدم الراوي بعض التركيبات النحوية في بناء جمله وعباراته، اقترب أسلوب عمله من التمييز والفردية؛ لذلك، من الضروري معرفة التركيب الأساسي والعناصر المكونة للكلام في اللغة القياسية؛ لأن الخروج عن المكونات المحددة في اللغة القياسية يوفر الأساس لظهور الأنماط الفردية.

كل مكون من مكونات الكلام، وفقًا لمواقف مختلفة وأيضا الأغراض المجازية للكلام، كالتأكيد على أهمية شيء ما، والصدراة لبعض عناصر الجملة، وما إلى ذلك، يمكن أن يترك موقعه الأصلي في الجملة ويصبح نائبا لعناصر أخرى من الكلام. كيفية بناء الكلام وعلاقة اجزاء الجملة بعضها ببعض تؤثر على درجة بروز وقبول النص الأدبي. (مقياسي ، ٢٠١٤: ٥٣)

المستوى النحوي في الخطبة ٢٧ والرسالة٢٨ دراسة أسلوبية مقارنة

على الرغم من أن صياغة وترتيب العناصر التركيبية لخطب ورسائل نهج البلاغة تستند إلى قواعد نحوية، إلا أن هذه الاختيارات النحوية ترجع إلى توافقها مع المفاهيم والمعاني التي أرادها الإمام علي (ع) حيث قد منحت معنى خاصا للنص، وجعلت أسلوب الإمام أسلوبا رمزيا وما يسمى بالأسلوب الفردي للإمام (ع). لفهم هذا الأسلوب الفردي بشكل أفضل، سنقوم بدراسة مقارنة للمستوى النحوي للخطبة ٢٧ والرسالة ٢٨؛ مما لا شك فيه أن دراسة هذه الموضوعات أدت إلى اكتشاف علاقة خفية بين الكلمة والمعنى، وكشفت الأسس الفكرية والروحية للمؤلف، وكذلك الأيديولوجية السائدة للنص.

تردد الجملة الاسمية والفعلية

قسّم علماء قواعد اللغة العربية الجملة إلى نوعين من الأسماء

والأفعال؛ إن جملة الاسم التي تبدأ بالاسم أو الاسم هو ركنها الأول (بديع يعقوب، ١٤٢٠: ٢٨٥)؛ هذه الجملة، في هيكلها الرئيسي، "مفيدة لإثبات المسند للمسند إليه، بغض النظر عن الحداثة والاستمرارية" (المصدر نفسه: ٢٨٦) والجملة الفعلية التي تبدأ بالفعل وتنطوي على التغيير والتحول والاستمرارية (الهاشمي، ١٩٩٩: ٦٦) ولها تأثير كثير على المستمع. (خليل، ١٩٦٨: ١٨٢).

تظهر الدراسات في الخطبة ٢٧ كثرة استخدام الجمل الفعلية في قياس الجمل الإسمية.

الجدول ١. تواتر الجمل الاسمية و الفعلية

الخطبة ٢٧	الجمل الاسمية		الجمل الفعليه		المجموع
العدد	٢١	%٢٥	٦٢	%٧٥	٨٣

يدل التكرار العالي للجمل الفعلية على "العاطفة الممتازة والديناميكية" لدى الإمام علي (ع) ويضفي تحركا ونشاطا فريدا على النص، مما يزيد من فعاليته؛ ونتيجة لذلك، فإن الهدف الأساسي من إلقاء الخطبة، أي إقناع الجمهور بالانضمام إلى الجبهات الجهادية والدفاع عن العرض والحدود، يتحقق إلى حد مرغوب فيه، لكن الضعف الأساسي لأهل الكوفة ويأس الإمام (ع) من تحسين الوضع، يكشف عن ارتباط كامن آخر بين الكلمة والمعنى، وهو أقرب إلى سياق النص ومكانة المؤلف، وذلك أن وفرة الجمل الفعلية التي تعني التغيير والتحول والاستمرارية؛ قد كشفت احوالهم المتغيرة ونفاقهم حيث قد رسمت تجدد الذريعة لدي الكوفيين وعصيان هذا القوم الذليل فمثلا قد جاء في خطبة الامام (ع): «اغْزُوهُمْ قَبْلَ اَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ ما غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ في عُقْرِ دارِهِمْ اِلاّ ذَلُّوا. فَتَواكَلْتُمْ وَتَخاذَلْتُمْ حَتّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغاراتُ، وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الأَوْطانُ» (الخطبة ٢٧)

في الرسالة ٢٨، يشير التكرار العالي للجمل الفعلية في قياسه مع الجمل الاسمية المشاعر الكبيرة والديناميكية للمؤلف وحركة النص ونشاطه.

الجدول٢. تواتر الجمل الاسمية و الفعلية

الرسالة ٢٨	الجمل الاسمية		الجمل الفعلية		المجموع
العدد	٨	%٢٩	٩٥	%٧١	١٣٣

يترك الإمام علي (ع) بمساعدة هذا الاختيار النحوي الذي يدل على الحداثة والوقوع، أثرًا عاطفيا عميقا على روح المتلقي ومن ناحية أخرى يكشف بوضوح تام نفاق معاوية، الذي يتواجد في كل لحظة بشكل خاص، ويسعى سرا وعلانية إلى المؤامرة. ومن الجدير بالذكر أن الإمام (ع) عند وصف صفات قومه أمام بني امية، يستخدم عبارات اسمية تدل على الثبوت والمقاومة «مِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ، وَمِنّا اَسَدُ اللهِ وَمِنْكُمْ اَسَدُ الأَحْلافِ، وَمِنّا سَيِّدا شَبابِ اَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النّارِ، وَمِنّا خَيْرُ نِساءِ الْعالَمينَ وَمِنْكُمْ حَمّالَةُ حمّالة، في كَثير مِمّا لَنا وَعَلَيْكُمْ» (الرسالة ٢٨)

يجعل الامام (ع) في هذا الاختيار الماهر، فضيلة بني هاشم وتفوقها خالدة وقوية كما يقدم رذائل وصفات بني امية، والتي هي جزء من طبيعتهم وجوهرهم ، بأنها ثابتة وغير قابلة للتغيير.

بمقارنة الإحصائيات التي تم الحصول عليها في كل نص، نرى التشابه الأسلوبي بين الاثنين، أي غلبة تكرار الجمل الفعية على الاسمية. وتجدر الإشارة إلى أن هذه السمة البنيوية المشتركة، والتي هي نتاج اختيارات الإمام المحفزة، بالإضافة إلى إحياء السمات الجوهرية لهذه البنية النحوية، مثل نقل الانفعالات السائلة والديناميكية للمؤلف، وحركة النص وزيادة كمية الانطباع، من خلال ربط الكلمة بالمعنى، تنقل أيضا المعاني الدلالية الخاصة بكل نص بطريقة ملموسة. ومن هذه الدلالات الدلالية المشتركة بين النصين محاولة الإمام علي (ع) في شرح المبادئ الدينية والأيديولوجية وتوضيح الوضع السياسي في ذلك الوقت.

جملة الخبرية والإنشائية

الجملة الإخبارية هي جملة التي تحمل الصدق والكذب؛ "والقصد من حقيقة الخبر هو انسجام العلاقة اللفظية مع الواقع ، ومعنى زيف الخبر تناقضه مع الواقع" (خطيب قزويني، ١٩٠٤: ٤٢-٤١). الجملة الإنشائية هي "بيان ليس من المرجح أن يكون صحيحًا أو كاذبا؛ "لأنه ليس له معنى خارجي لكي يتوافق معه أو لا يتوافق معه". (تفتازاني، ١٤١١: ٢٥٠)

كثرة الجمل الخبرية والانشائية في الخطبة ٢٧ يكون على قرار التالي:

الجدول٣. تواتر الجمل الخبرية و الانشائية

الخطبة ٢٧	الجمل الخبرية	الجمل الانشائية	المجموع
العدد	٧٣	١٨	٩١

وبالنظر إلى الجدول أعلاه، فإن التكرار العالي لأسلوب الخبري يتناسب تماما مع سياق الخطبة، وهو تحليل للحادث الذي وقع، أي سقوط مدينة الأنبار وتوابعها على يد معاوية. لكن أسلوب الانشاء، بهذا التردد المنخفض، يثير نقاطا قابلة للتأمل. إن وجود المعاني الثانوية في هذا الأسلوب بالإضافة إلى زيادة القوة الدلالية لهذه الخطبة، فهي تحفظ النص من حالة الرتابة والتآكلية بسبب العلاقة المباشرة بين المتحدث والمرسل إليه، وتؤثر على جانبه العاطفي وقدرة تأثيره. على سبيل المثال، الجمل المتتالية للإمام (ع) بصورة استفهامية، يضاعف عبء اللوم والتوبيخ على الكوفيين: يُغارُ عَلَيْكُمْ وَلاتُغيرُونَ، وَتُغْزَوْنَ وَلا تَغْزُونَ، وَيُعْصَى اللهُ وَتَرْضَوْنَ»(خطبه٢٧)؛ كما أن استخدام أسلوب النداء في هذه الخطبة ملائم للغاية ومليء بالمحتوى: «يا أشباهَ الرِّجالِ ولا رجالَ...»(همان)؛ لأنه من خلال ترك المعنى الرئيسي وقبول المعاني المختلفة، فقد نقلت مجموعة واسعة من معاني التحذير والإذلال والتوبيخ والكراهية والإنزجار وما إلى ذلك بطريقة موجزة ومختصرة.

كثرة الجمل الخبرية والانشائية في الرسالة ٢٨ يكون على القرار التالي:

الجدول٤. تواتر الجمل الخبرية و الانشائية

الرسالة ٢٨	الجمل الخبرية	الجمل الإنشائية	المجموع
العدد	١١٥	١٤	١٢٩

تتناسب كثرة الجمل الخبرية مع سياق النص والدافع الأساسي لكتابته؛ هذه الرسالة، التي كُتبت لدحض مزاعم معاوية الكاذبة وفضح شخصيته المنافقة، تحتوي بطبيعة الحال على عدد كبير من الجمل الخبرية. ولو أن الامام بمساعدة نفس الحالات القليلة من الأساليب الانشائية التي تم تضمينها في أثناء الجمل الخبرية، قام بكسر الموسيقى الهادئة للكلام حيث حفظ النص من الرتابة. إن اختيارات الإمام (ع) النحوية قد ضاعفت الدرجة الديناميكية وفعالية النص حيث نراه قد عبر عن مشاعره الداخلية بوضوح كثير. وتجدر الإشارة إلى أن معظم هذه الجمل الانشائية هي من نوع الاستفهام الانكاري وتنقل العديد من المعاني الضمنية مثل التوبيخ والتقرير والإذلال والنفي، وبالتالي يسوق اللغة من وظيفتها التي هي الإفادة إلى وظيفة الاختراع والانحراف. من ناحية أخرى، فإن عطف جمل الاستفهام بعضها على البعض التي تنتج التكرار النحوي المؤثر، مثل هذا المقطع من رسالته «ألا تَرَبَعُ أيُّها الإنسانُ على ظَلَعِك، وتَعرِفُ قُصُورَ ذَرعِك، وتَتَأَخَّرُ حَيثُ أخَّرَكَ القَدَرُ» (الرسالة ٢٨)، يزيد النص حركة وديناميكية، حيث يؤدي التأثير العميق على ذهن المتلقي.

في هذه النقطة نشاهد تشابها تقريبيا بين هذين النصين في غلبة تردد الجمل الخبرية على النص، لكن في مقام القياس، إن اختلاف تردد الجمل الخبرية والانشائية في الخطبة يكون أقل من الرسالة. هذا الخلاف الظريف يضيف على درجة عاطفة نص الخطبة؛ لأن «الجمل الانشائية تكون أكثر دقة في الإثارة، وجلب انتباه المستمع وترسيم احاسيس وعواطف المتكلم في قياسها مع الجمل الخبرية» (الأسد، ٢٠١٠: ٥٣). التشابه الثاني الموجود بين النصين هو يدل على تنوع واختلاط أسلوبي الخبر والانشاء حيث يعرف في الاصطلاح بصناعة «الالتفات البيانى». فالامام حسب رؤيته ولجلب النتباه الكثير والممانعة من ملالتهم، يتكلم باسلوب متنوع. تنوع اسلوب الجمل، يؤدي إلى إثارة النشاط وازدياد مستوى الوعي بينهم ويرسم احاسيس الخطيب بأفضل صورة (الحوفي، ١٩٧٧: ٢٥٩)؛ لذا يغير جمله من الخبر إلى الانشاء ومن الانشاء إلى الخبر وكذلك يقوم بتغيير نوع الجمل الانشائية دائما.

طول الجمل

إن الجملة هي أطول عنصر من عناصر النحو، فإذا نعد كل بناء نحوي شكل من عنصر الفكر، نستطيع أن نقوم

بتحليل طول الجمل وقصرها، بناء الفكرة والأسلوب والحالة المعنوية للمتكلم. «كثرة الجمل القصيرة والمتقطعة تؤدي إلى سرعة الاسلوب، سرعة التفكر والهيجان (أي تكون اكثر عاطفة) وبالعكس، إن كثرة الجمل الطويلة، تجعل الأسلوب هادئا، والجمل المركبة والمعقدة تجعل الحركة بطيئة (تكون استدلالية ومنطقية)» (فتوحى، ١٣٩٠: ٢٧٥).

بدراسة الحاصلة في الخطبة٢٧يكون تردد الجمل القصيرة، الطويلة والمركبة على القرار التالي:

الجدول٥. تواتر الجمل القصيرة و الطويلة

الخطبة ٢٧	الجمل القصيرة	الجمل الطويلة	الجمل المركبة
العدد	١٧	٦	٣

كما يتضح من الجدول أعلاه، فإن الجمل القصيرة والمتقطعة لها تردد أعلى في قياس الجمل الطويلة والمركبة. إن التكرار المرتفع لهذا النوع من الجمل، والذي عادة ما يكون معطوفة بعضها على البعض، جنبًا إلى جنب الجمل المعطوفة التي وضعت في قلب الجملة المركبة، قد خلقت أسلوبًا متسقا نحويا، مما يتسبب في الديناميكية والتسرع في الأسلوب(فتوحي، ١٣٩٠: ٢٧٧) هذه التركيبات النحوية في انسجام تام مع المحتوى وتسعى وراء دوافع خاصة مثل التأثير على الجمهور وتحفيزهم وتشجيعهم على تحقيق المطلوب،كما يتم اختيارها لوعي الجاهل وتقلبه. يشار إلى أن الإمام (عليه السلام) استخدم جمل طويلة ومركبة عند الشكوى من سلوك الكوفيين وأعذارهم، وكذلك في وصف حالته الداخلية. أدت هذه الاختيارات النحوية الخاصة إلى تباطؤ عملية الأسلوب وترشيده، وصورت بوضوح ضعف وبطء الكوفيين في اتباع أوامر الإمام (ع)، مما أدى إلى ضعف إدارته.

فيما يلي نشير إلى تردد الجمل القصيرة، والطويلة والمركبة في الرسالة ٢٨:

الجدول٦. تواتر الجمل القصيرة والطويلة

الرسالة ٢٨	الجمل القصيرة	الجمل الطويلة	الجمل المركبة
تعداد	٢٤	١٠	٥

يعمل التكرار العالي للجمل القصيرة في هذا النص على تسريع حركة الأسلوب وإضفاء الإثارة والحيوية. تجسد هذه الاختيارات المحفزة، بشكل مرئي، المشاعر الداخلية للإمام (ع) كغضبه من مزاعم معاوية الكاذبة وشخصيته المنافقة، وتجعل الجمهور يرافق النص وتؤثر على روحه وفكره. من ناحية أخرى، إن الإمام (ع)، أثناء شرحه وتبريره لبعض القضايا مثل تفوق بني هاشم على بني أمية أو القضاء على تهمة قتل عثمان وتحديد الجاني الحقيقي، اختار الجمل الطويلة والمركبة حيث هذه الجمل كانت اختيارات نحوية فعلاوة على جعل حركة الأسلوب بطيئة، تتماشى مع المضامين الدلالية التي يقصدها المؤلف، أي التعبير عن الحجج والمبررات. بالإضافة إلى ذلك، عندما يصف الإمام (ع) قواته وتهديد معاوية، يجسّد مناعة هذا الجيش وتعقيده باستخدام جملة مركّبة وباستخدام إسناد الصفات في جملة مفردة أو وصفية كما أنها تضاعف التأثير والخوف الحاصل من هذه التهديدات.

يشتمل التشابه الأسلوبي بين هذين النصين أيضًا مميزة طول الجملة. يعد التكرار العالي للجمل القصيرة جنبا إلى جنب التكرار المتوسط للجمل الطويلة وأخيرًا التردد المنخفض للجمل المركبة اختيارات نحوية متشابهة يمكن أن يكون لها آثار دلالية مماثلة. في الحالات التالية، نرى تسارع وديناميكية الجمل القصيرة في المقطع التالي:

«لَقَدْ مَلأتُمْ قَلْبي قَيْحًا، وَشَحَنْتُمْ صَدْرى غَيْظًا، وَجَرَّعْتُمُوني نُغَبَ التَّهْمامِ اَنْفاسًا، وَاَفَسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيي بِالْعِصْيانِ وَالْخِذْلانِ»(خطبه ٢٧)

«فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ، فَاِنّا صَنائِعُ رَبِّنا، وَالنّاسُ بَعْدُ صَنائِعُ لَنا. لَمْ يَمْنَعْنا قَديمُ عِزِّنا، وَلا عادِيُّ طَوْلِنا عَلى قَوْمِكَ اَنْ خَلَطْناكُمْ بِاَنْفُسِنا، فَنَكَحْنا وَاَنْكَحْنا فِعْلَ الْاَكْفاءِ، وَلَسْتُمْ هُناكَ» (نامه ٢٨)

تسارع هذه الجمل القصيرة وحيويتها، والتي غالبا ما تكون معطوفة من خلال حرف "واو" أو "فا"، تدل على الهيجان الداخلي للامام (ع) وتدفق مشاعره القائمة على الغضب والحماس والكبرياء والرهبة والحزن والاستغراب.

التقديم والتأخير

يستند ترتيب مكونات الجملة في اللغة العربية إلى غلبة الأسماء في الجمل الاسمية والفعل في الجملة الفعلية، وبناءً على هذا التقسيم، فقد رتبوا ترتيب مكونات الجملة. "ولكن إذا كان الترتيب الطبيعي للكلمات مضطربًا، فإنه يتسبب في الابتعاد عن اللغة العادية نحو الانزياح واللغة الإبداعية والمبتكرة ، وينقل نوايا وأهداف معينة للجمهور؛ "طبعا الانحراف أو الانحراف عن اللغة المعيارية في التقديم والتأخير يقتصر على شيئين، هي أن لا تسبب أخطاء والمعنى يكون واضحا" (عبد المطلب، ١٩٩٤: ٣٢٩).

في الخطبة ٢٧، نواجه تواترا صغيرا (اثنان فقط) لهذا المعيار؛ هذا التردد المنخفض يحمل في حد ذاته تداعيات دلالية خاصة؛ بما أن تقديم البنية التي من حقها أن تتأخر يدل على أهمية وتركيز تلك البنية من وجهة نظر المؤلف، لذلك فإن عدم اختيار هذه البنية النحوية يمكن أن يكون تجسيدًا لأوضاع الكوفيين الذين قد جعلوا أنفسهم نيام وغافلين وذلك لخوفهم وحبهم للدنيا. حيث دون أي رد فعل على الأحداث المشؤومة التي وقعت، يجعلونها تبدو غير مهمة؛ على سبيل المثال: في جملة «ثمّ انصَرَفُوا وافِرِينَ ما نالَ رجلًا منهم كلمٌ»(خطبه٢٧)، فتقديم «رجلًا» على«كلمٌ»، بالإضافة إلى التخصيص والتأكيد الذي تحمله معها، تلقى الاضطراب الروحى للامام (ع) من هذا الحدث المرير للمتلقي. أو في جملة «فأنتم واللهِ مِن السَّيفِ أفَرُّ»، أن الإمام (ع) بتقديم الجار والمجرور على متعلقه أي، كلمة «أفرّ»، يرسم الخوف والرعب لدى الكوفيين من الحرب، الذي هو سبب إذلالهم وتمردهم بصورة واضحة وعارية.

تردد استخدام هذا الانزياح في رسالة ٢٨ من نهج البلاغة يصل إلى ١٧؛ ونشير فيما يلي إلى بعض الأمثلة منه، على سبيل المثال في مقطع من الرسالة، إن الامام باستخدام هذين الأمرين النحويين قد رسم تقابلا عاريا ومؤثرا بين أسرته وأسرة بني أمية وكشف القناع من وجوه بني أمية المنافقة إلى أن فضحهم: «ومِنّا النَّبيُّ ومِنكمُ المكذِّبُ، ومِنّا أسَدُ اللهِ ومِنكم أسَدُ الأحلافِ، ومِنّا سيِّدا شَبابِ أهلِ الجَنَّةِ ومِنكم صِبيَةُ النّارِ، ومِنّا خَيرُ نِساءِ العالمينَ ومِنكم حَمّالةُ الحَطَبِ». في جملة «بِرَسولِ اللهِ(ص) فَلَجُوا عليهم»(الرسالة ٢٨)، استخدم الإمام (ع) هذه الاستراتيجية، حيث أكد على عظمة مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرامته وكذلك على قرب بني هاشم وخاصة شخصهم المبارك من هذه المكانة الرفيعة. ومن بين الحالات الأخرى تقديم الجار والمجرور وتأخر العامل يكون مشهودا: «وزَعَمتَ أنِّي لِكلِّ الخُلَفاءِ حَسَدتُ، وعلى كلِّهِم بَغَيتُ»، «متى ألفَيتَ بَنِى عَبدِ المطّلِبِ عن الأعداءِ ناكِلِينَ، وبالسَّيفِ مُخَوَّفِينَ» (المصدر نفسه).

بمقارنة تواتر هذه الإستراتيجية النحوية في الخطبة والرسالة المدروسة، نواجه فرقا كبيرا في التردد؛ وتيرة هذه الوظيفة في الخطبة هي اثنان فقط بما أن هذا الرقم يكون في الرسالة سبعة عشر؛ الإمام (ع) أثناء إلقائه الخطبة المنشودة بين أصحابه يصرخ حزينا وغاضبا على معصية الكوفيين بغير قيود ورعاية، ويعبر عن انزعاجه وعجزه مباشرة بسبب تمرد أصحابه وعصيانهم عليه: «ولكن لا رأيَ لِمَن لا يُطاع»(المصدر نفسه)؛ لذلك، من أجل نقل أسرار قلوبهم وعواطفهم الداخلية، والتي تتمتع جميعها بكثافة وشدة غير محدودة، يستخدمون التردد العالي للقيود الشديدة والمؤكد؛ ونتيجة لذلك لاستخدام استراتيجية التقديم والتأخير، لا يبقى مجال للتساهل، وهو حل غير مباشر وأقل فعالية. خلافا للرسالة المذكورة، الذي حاول الإمام (ع) ضمن الحفاظ على عظمته ومجده ومكانته ومكانة عائلته إثبات حق الخلافة المنزوع منه بالقوة بطريقة منطقية وبعيدة عن المشاعر العاطفية الشديدة، الحق الذي حاول معاوية لإنكاره وإبطاله بادعاءاته الكاذبة دائما؛ لذلك، فإن الإمام (ع) بإتقان كامل للموقف، مع تجنب التركيز الشديد من ناحية وتقديم البنية النحوية من ناحية أخرى، ينقل المعاني المطلوبة للجمهور بأجمل طريقة ممكنة.

التكرار النحوي

إن تكرار النمط النحوي هو فن بديع لم ينتبه لها علماؤنا، وبينما هي بارزة وجميلة ... في تكرار النمط النحوي كالخصائص النحوية أن المقطع أو الشطر الثاني يذكرنا بالمفهوم الأول ويستمتع الذهن من هذا التلقي.

التكرار النحوي هو تناظر نحوي وهو جميل مثل أي تناظر آخر. "بالإضافة إلى ذلك، يتم التأكيد من خلال التكرار." (وحيدان كاميار، ١٣٧٩: ٥٧-٥٦)

تتكرر عناصر من الجمل السابقة للنص في الجمل التالية (آقا گل زاده، ١٣٨٥: ١٠٨) التكرار يعني استئناف عنصر سبق ذكره مرة واحدة في النص التالي. (البرزى، ١٣٨٦: ١٥٥)

عند فحص خطبة الجهاد، وجدنا اثنتي عشرة حالة تكرار، تستمتع بعضها بسبب ارتباطها بصناعات أخرى وحيل أدبية وبلاغية، من توازن موسيقي أكبر. وقد استخدم الإمام (ع) في حديثه عن عواقب ترك الجهاد التكرار النحوي الهادف وإنجازاته الموسيقية والمفاهيمية: على سبيل المثال في هذا المقطع: «فمَن تَرَكهُ رَغبَةً عنه ألبَسَهُ اللهُ ثَوبَ الذُّلِّ، وشَمِلَهُ البَلاءُ، ودُيِّثَ بِالصِّغارِ والقَماءةِ، وضُرِبَ على قلبِهِ بِالإسهابِ، وأُديلَ الحَقُّ مِنه بِتَضييع الجِهادِ، وسِيمَ الخَسفَ، ومُنِعَ النَّصَفَ» (الخطبة ٢٧).

والنقطة الجديرة بالملاحظة والجذابة في هذه الاختيارات هي الانسجام والتناسب الموجود بين التركيب النحوي المتكرر، أي توجد العقوبة الشرطية بمضمون الكلمة، أي ذكر نتائج ترك الجهاد؛ كما يتم اختيار جمل قصيرة وأسلوب أساسي في هذا الجزء من الخطبة، بالإضافة إلى تقوية التوازن الموسيقي الناتج عن التكرار النحوي، مع دقات مفاجئة وفورية ناتجة عن أداء هذه الجمل القصيرة والحركات والسكون المتكرر؛ يعرض التأثير الممل والمهين أمام الجمهور على شاشات متتالية؛ الانتقاء الماهر للأفعال المجهولة في بداية كل جملة، والذي يتكرر في دور الجملة الشرطية، يضيف إلى هذا التماسك اللفظي والمحتوى، مما يسهل انعكاس الصور وربطها في ذهن المتلقي؛ لأن عدم الكشف عن هويته هو بحد ذاته عامل غموض وضلال، وهو ينقل بشكل غير مباشر العبء الدلالي الذي يرغب فيه الإمام (عليه السلام) على سبيل المثال: «فإذا أمَرتُكم بالسَّيرِ إليهِم في أيّامِ الحَرّ قُلتُم: هذه حَمارَّةُ القَيظِ، أمهِلنا يُسَبَّخ عنّا الحَرُّ، وإذا أمَرتُكم بالسَّيرِ إليهم بِالشِّتاءِ قُلتُم: هذه صَبارَّةُ القُرِّ، أمهِلنا يَنسَلِخ عنّا البَردُ»(المصدر نفسه).

في هذا المقطع، تكرار العديد من التراكيب النحوية المختلفة في شكل جملة طويلة مركبة، متكونة من الشرط «فإذا أمَرتُكم بالسَّيرِ إليهِم»، جزاء الشرط «أمهِلنا»، قول ومنقول القول «قُلتُم: هذه»، يصور الأعذار والعصيان المتكرر للكوفيين من كلام أميرالمؤمنين(ع) بشكل ملموس ومفهوم.

يعد استخدام تكرار التراكيب النحوية إحدى المؤشرات الأسلوبية في الرسالة ٢٨ على سبيل المثال: «فَذَكرتَ أمرًا إن تمَّ اعتَزَلَك كلُّهُ، وإن نَقَّصَ لم يَلحَقك ثَلمُهُ»(الرسالة ٢٨) حيث التوازن الناتج من تكرار البناء النحوي المتشكل من الشرط وجزاء الشرط، جنبا إلى جنب استخدام السجع بين كلمتي «كلُّه» و«ثَلمُه»، إضافة على الانسجام الموسيقايي للكلام، يجلب الانسجام المعنائي عن طريق التداعي المكرر للتصاوير الكنائية، حيث قد أنتج مرافقة لا مثيل لها بين اجزاء الكلام والسياق المعنائي، كما في هذا المقطع من الرسالة «زعمتَ أنّي لِكلّ الخُلَفاءِ حَسَدتُ، وعلى كلِّهِم بَغَيتُ»(المصدر نفسه)، قد أظهر استخدام تقديم الجار والمجرور على العامل وكذلك صناعة السجع والتكرار النحوي المستخدم في مستوى خبر «أنّ» بصورة موزونة وملموسة؛ هذا التعاون والمشاركة غير المحسوسة بين العناصر المنتخبة، يؤدي إلى انتاج كلام مميز وخارج عن الطريقة المألوفة حيث يجعل انعكاس المعنى في ذهن المتلقي أكثر بساطة، ويهديه إلى فضاء يتحد فيه الشكل والمعنى بصورة جيدة.

في هذا المقطع من الرسالة «فإن يَكن الفَلجُ بِهِ فالحَقُّ لنا دونَكم، وإن يكن بغيرِهِ فالأنصارُ على دَعواهم»(المصدر نفسه)، فإن التناغم الصوتي والتجانس الناتج عن تكرار الهياكل النحوية تنقل للجمهور دور الاستدلال المعنائي المقصود بأوسع طريقة ممكنة وأكثرها فاعلية. لكن حالات الهياكل النحوية التي تتكرر أكثر من مرة تجعل الموسيقى الإيقاعية أكثر إيقاعًا، بالإضافة إلى تعزيز الحمل الدلالي المطلوب، وزيادة تركيزها وفعاليتها؛ مثل هذا الجزء من النص: «ألا تَرَبَعُ أيُّها الإنسانُ على ظَلَعِك، وتَعرِفُ قُصُورَ ذَرعِك، وتَتَأَخَّرُ

حَيثُ أخَّرَك القَدَرُ»(المصدر نفسه)؛ التكرار النحوي المتتالي جنبا إلى جنب الكلمات المسجعة والفعالة قد أضاف الدلالة المطلوبة الكثيرة لدرجة أن مخاطبه الخاص أي معاوية، يستسلم تحت ضغط الهجمات المتكررة ثم يدفن تحت أنقاض الذل والإذلال. وأيضا في هذا الجزء من الرسالة «ومِنّا النَّبِيُّ ومِنكمُ المكذِّبُ، ومِنّا أسَدُ اللهِ ومِنكم أسَدُ الأحلافِ، ...»(المصدر نفسه)"الذى وضح كشاهد للتقديم والتأخير الأبنية النحوية على شكل جمل قصيرة ومتقطعة، وهي مرتبطة بعضها ببعض، حيث قد أنتجت مقطوعات لحنية حيث تنقل المفاهيم العقلية التي يريدها الإمام (ع) مشهدًا بمشهد وبسرعة مذهلة أمام أعين الجمهور.

في مجال الإحصائية المقارنية، نرى الفرق في عدد مرات تطبيق هذا المؤشر النحوي (١٢ في الخطبة و٢١ في الرسالة). على الرغم من أن بعض هذا الاختلاف في التردد يمكن أن يُعزى إلى طول الرسالة في قياس الخطبة، إلا أن التردد السائد للتكرار النحوي للرسالة يمكن أن يكون له نفس المبرر مثل غلبة تكرار التقديم والتأخير؛ أي الاستخدام المتكرر لهذا المؤشر النحوي في التعبير المؤثر والموزون، لكن غير المباشر عن المفاهيم؛ الحل الذي استخدمه الإمام (ع) في هذا النص الغني جنبا إلى جنب حلول أخرى مثل استخدام الضمان واتلميح بالآيات والأمثال أو الاستخدام المتكرر للكنايات والتشبيهات والاستعارات الساخرة وغيرها من الصناعات البديعية من أجل تجنب إضفاء الطابع الشخصي على نسيج النص أو تلويثه بلغة عامية وغير فنية.

الوجهية أو الطريقة

تشير الموضوعية أو الطريقة إلى "الإمكانيات اللغوية المتاحة لوصف وتبرير الادعاء أو الاعتقاد أو الالتزام الذي يخلقه الشخص باللغة" (فتوحي، ١٣٩٠: ٢٨٦، نقلا عن تولان). الوجهية هي درجة صلابة المتحدث في التعبير عن العبارة، والتي يشار إليها عمومًا بالعناصر النحوية (المصدر نفسه: ٢٦٩)، والتي على أساسها يتم فحص درجة الصلابة أو شك المؤلف في النص. تتجلى الوجهية بوضوح في فعل الجملة. وجه الفعل هو "شكله أو جوانبه التي تشير إلى الأخبار، والاحتمال، والأمر، والأمل، والتمني، والتأكيد، والرجاء، وبعض الأمور الأخرى" (فرشيدورد، ١٣٨٢: ٣٨١). تتضمن بعض جوانب الفعل وطريقته ما يلي: وجه الأخبار يشير إلى حدوث أو عدم وقوع حدث محدد؛ (فتوحي، ١٣٩٠: ٢٨٧)، وجه الالتزام، يشير هذا الجانب إلى اتجاه وحالة المتحدث نحو تنفيذ إجراء عمل من نوع الطلب والتوصية والإكراه والأمر (المصدر نفسه)؛ وجه التمني؛ ويشتمل على الرجاء، والرغبة، ومفاهيم كالرغبة، والرجاء، والدعاء والأمل (المصدر نفسه: ٢٨٨)،

يرتبط الجانب المعرفي بمعرفة المتحدث واعتقاده ومعرفته بالموضوع ويشير إلى ثقة المتحدث أو عدم يقينه بشأن حقيقة البيان (المصدر نفسه).

يعكس الجانب العاطفي شغف المتحدث وإثارته ومشاعره، ويشير إلى درجة صداقته أو كراهيته للموضوع(المصدر نفسه).

وبحسب الدراسات، فإن المظهر في أفعال الخطبة ٢٧ بحسب الجدول التالي هو كما يلي:

الجدول٧. تواتر الوجهية

المميزة	الوجهة الإخبارية	الطريقة الالزامية	الطريقة الرجائية	الوجهة العاطفية	الوجهة المعرفية
الخطبة٢٧	٣٦	٦	٠	٧	٧

وبحسب إحصائيات الجدول فإن كثرة الوجه الإخباري يصور علاقة الإمام (ع) بأحداث زمانه. في هذه الخطبة يطلع الإمام (ع) على الحدث المشؤوم الذي وقع، وهو هجوم جنود معاوية على مدينة الأنبار ومحيطها وما يتصل بها من أحداث. بعد طريقة الإخبار، نرى نفس تواتر الأساليب العاطفية والمعرفية التي تعبر عن المشاعر والعواطف الشخصية وكذلك الموقف النقدي للإمام (ع) في التعامل مع موقف وعمل الكوفيني في مواجهة الحدث. كذلك، وبحسب موضوع الخطبة، فقد عبر الإمام (ع) عن موقفه من موضوع الجهاد، كما أدان ضعف الكوفيين في الفرائض (الأمر، النهي، الشرط)، في التوجيه والإرشاد وتوبيخ الجمهور. إن التردد المنخفض

للطريقة الإلزامية، إلى جانب عدم وجود طريقة الرغبة في هذه الخطبة الثمينة، يستدعي تداعيات دلالية خاصة؛ يأس الإمام(ع) من هدى الكوفيين وطاعتهم، ونتيجة لذلك، تشاؤمهم من تغيير الوضع الراهن وتحسين الوضع، من الآثار التي يمكن استخلاصها من خلال استرجاع الصلة التي لا تنفصم بين الكلمة والمعنى.

بنظرة واحدة على الجدول أدناه، يظهر التكرار المرتفع الأسلوب العاطفي في قياس الطرائق الأخرى في الرسالة ٢٨:

الجدول٨. تواتر الوجهية

المميزة	الوجهة الإخبارية	الوجهة الألزامية	الوجهة الرجائية	الوجهة العاطفية	الوجهة المعرفية
الرسالة٢٨	١٩	٣	٠	٤٧	٢٤

يكشف هذا التردد العالي عن مدى انخراط المؤلف في النص، وتوجهه في الكلام، ونوع علاقته بالجمهور. في هذه الرسالة، يخاطب الإمام (ع) بشكل صريح شخص معاوية، ويرد على أقواله الفاضحة وادعاءاته الكاذبة وتهديداته برد مفزع، لذلك فإن سياق النص والمسائل التي أثيرت فيه تؤدي حتما إلى التدخل المباشر للمؤلف والكشف عن نوع تفاعله مع الجمهور؛ من ناحية أخرى، فإن التردد العالي لهذا الجانب من الفعل، إلى جانب الطريقة المعرفية، يقود المصمم إلى الجوانب النفسية للغة وعقلية ووجهة نظر المؤلف؛ كما في هذه الرسالة، يتم استخدام اللهجة الغاضبة والمهينة للإمام (ع) في خلافه مع معاوية، بطريقة ملموسة للغاية حيث يتجلى هذا الأمر في الأفعال مثل «زعمتَ»، «دَع عَنك»، «ألا تَربَعُ»، «ألا تَرىَ»، كما أن وجهة نظر الإمام (ع) في قضايا أخرى مثل تفوق بني هاشم وقربه من باب الله تعالى وحضور الرسول صلى الله عليه وسلم ومسألة خلافته وحقه المنهوب تتجلى بوضوح. والجدير بالذكر أن قلة الطريقة الألزامية وعدم وجود الطريقة الرجائية تشير إلى يأس الامام على (ع) من فهم معاوية وهديه.

في باب الوجوه الفعلية، ولتسهيل أمر الدراسة المقارنية، قد جعلنا النتائج الحاصلة من كل نص كما يلي.

الجدول ٩. نتائج

المؤشرة	الوجهة الإخبارية	الوجهة الألزامية	الوجهة الرجائية	الوجهة العاطفية	الوجهة المعرفية
الخطبة٢٧	٣٦	٦	٠	٧	٧
الرسالة٢٨	١٩	٣	٠	٤٧	٢٤

بتأمل قصير في البيانات المذكورة أعلاه، يتم الكشف عن الاختلافات والقواسم المشتركة بين هذين النصين في المؤشرة المطلوبة. إن القواسم المشتركة بين هذين النصين، وهي التكرار المنخفض للطريقة الإلزامية وكذلك عدم تكرار طريقة الرجائية، تشير إلى وجهة نظر مشتركة في نصين مختلفين، وهذا الرأي المشترك هو يأس الإمام (ع) من هدي الجمهور وقبول النصيحة لديهم، لكن الاختلاف بين النصين هو غلبة أسلوب الأخبار في الخطبة وغلبة الأسلوب العاطفي في الرسالة. في الخطبة، تمثل سيطرة الأسلوب الإخباري تقريرًا لحدث أن الإمام يروي أحواله وأحداثه، لكن كثرة الأسلوب العاطفي في الرسالة، إضافة إلى شرح التفاعل المباشر والصريح للإمام (ع) مع المرسل إليه، يصور روحه المعاناة وقلبه المؤلم المليء بالغضب والحزن.

الخاتمة والاستنتاجات

من خلال الدراسة المقارنية لهذين النصين في المستوى النحوي، تم الحصول على أوجه التشابه والاختلافات المهمة ، والتي ناقشتها في ما يلي:

- إن الاستخدام المتكافئ تقريبا للجمل الفعلية في كلا النصين يجعل أسلوبهما أقرب معا، على الرغم من الاختلافات في الأنواع الأدبية، ويقدم آثارا دلالية مماثلة للجمهور.
- تسود الجمل الإخبارية في بنية كلا النصين؛ ولكن بالمقارنة، يكون اختلاف التكرار بين الخبر والإنشاء في الخطبة أقل منه في الرسالة.
- يعد التكرار العالي للجمل القصيرة في الخطبة والرسالة، جنبا إلى جنب متوسط تكرار الجمل الطويلة وأخيرًا التردد المنخفض للجمل المركبة، اختيارات نحوية متشابهة يمكن أن يكون لها آثار دلالية مماثلة.

- يتبين بمقارنة وتيرة التقديم والتأخير في الخطبة والرسالة، أن وتيرة هذه الوظيفة في الخطبة هي اثنان فقط. بما أن تردده في الرسالة يصل إلى سبعة عشر؛ وذلك لأن الإمام (ع) يحاول إيصال هدفه وغرضه إلى الجمهور بطريقة منطقية وبإتقان كامل للموقف وتقديم البنية النحوية من ناحية أخرى.
- في موضع المقارنة الإحصائية نرى الفرق في وتيرة التكرار النحوي في الخطبة والرسالة. إن غلبة التكرار النحوي للرسالة يؤدي إلى التعبير الفعال وموسيقى الكلمات، ويمنع من تأليف النص أو تلويثه بلغة عامية وغير فنية.

من حيث الجانب والطريقة، فإن السمات المشتركة لهذين النصين هي التردد المنخفض للطريقة الإلزامية وكذلك عدم تكرار الطريقة الرجائية؛ لكن الاختلاف بين النصين هو غلبة أسلوب الأخبار في الخطبة وغلبة الأسلوب العاطفي في الرسالة. في الخطبة، فإن هيمنة أسلوب الأخبار تدل على الظروف والأحداث التي يرويها الامام(ع)، لكن التردد العالي للنمط العاطفي في الرسالة يصور روح الإمام المتألم وقلبه المتألم.

في النهاية، يمكن القول أن الأسس الخفية لكلا النصين تستند إلى أيديولوجية ونظرة شخصية واحدة للعالم، وتختار هذه القاسم المشترك الفكري والأيديولوجي نوعا معينا من النظام. على الرغم من هذه التشابهات الفكرية، فإن الوضع المحدد لكل نص والأدوار اللغوية المختلفة للاثنين (الترغيبى، الاقناعى، ...)، والجمهور المحدد لكل نص، ومشاعر المؤلف وأسراره، والاختيار المميز للطرق المؤكدة وسائر العناصر الفعالة، خلقت نسيجا مختلفا وفريدا لكل منها؛ الاختلافات الكمية والنوعية في التركيبات النحوية ، مثل الاستخدام الدرامي لقيود التأكيد الصارمة، وخاصة القسم في الخطبة، والتكرار العالي لاستخدام الاستفهام الإنكاري، والتكرار النحوي، وأولوية أقسام الجملة في الرسالة، والاختلافات الأخرى تستدعي الاختلافات بين النصين المعاني الدلالية المناسبة لكل نص بطريقة فعالة ومقنعة في ذهن المتلقي.

المصادر

آقا غل‌زاده، فردوس (١٣٨٥ش). تحليل گفتمان انتقادى. چاپ اول. تهران: علمي وفرهنگ البرزي.

الأسد، محمد العربي (٢٠١٠ م). بنيّات الأسلوب في ديوان تغربية جعفر الطيار ليوسف وغليسي. رسالة الماجيستر. الجزائر: جامعة قاصدي مرباح.

بديع يعقوب، اميل (١٤٢٠م). موسوعة النحو والصرف والإعراب. الطبعة الرابعة. تهران: انتشارات استقلال.

بهار، محمد تقي (١٣٤٩ش). سبك‌شناسى. چاپ پنجم. تهران: انتشارات اميركبير.

تفتازاني، سعد الدين (١٤١١ق). المطول في شرح تلخيص المفتاح. قم: منشورات مكتبة الداوري.

الحوفي، أحمد محمد (١٩٧٧م). بلاغة الإمام علي عليه السلام. القاهرة: دار نهضة مصر.

خطيب قزويني، محمد بن عبدالرحمن (١٩٠٤م). التلخيص في علوم العربية. ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقى. بيروت: دار الفكر العربي.

خليل، ابراهيم محمود (٢٠١٠م). النقد الأدبي الحديث: من المحاكاة إلى التفكيك. عمان: دارالمسيرة.

خليل، أحمد (١٩٦٨م). المدخل الى دراسة البلاغة العربية. بيروت: دارالنهضة العربية.

دشتي، محمد (١٣٧٩ش). ترجمه نهج البلاغه. قم: مؤسسه فرهنگي انتشاراتى حضور.

شميسا، سيروس (١٣٧٤ش). كليات سبك‌شناسي. تهران: فردوس.

عبدالمطلب، محمد (١٩٩٤م). البلاغة الاسلوبية. القاهرة: شركة المصرية العالمية للنشر.

عوض حيدر، فريد (١٤١٩ق). علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية. القاهرة: مكتبة المصرية.

غلامرضايي، محمد (١٣٨٢ش). سبك‌شناسى شعر پارسى از رودكى تا شاملو. تهران: انتشارات جامى.

فتوحي، محمود (١٣٩٠ش). سبك‌شناسي نظريه‌ها، رويكردها وروش‌ها. تهران: سخن.

فرشيدرود، خسرو (١٣٨٢ش). دستور مفصل امروز. تهران: سخن.

فضل، صلاح (١٩٩٢م). بلاغة الخطاب وعلم النص. الكويت: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس

الوطني للثقافة والفنون والأداب.
مقياسي، حسن (۱۳۹۳ش). سبك‌شناسي لايه‌اي خطبه ۲۷ . فصلنامه پژوهش‌های نهج البلاغه. دوره دوم، شماره هفتم. صص ۳۹ . ٦۲ .
النحوي عدنان، علي رضا (۱٤۱۹ق). الأسلوب والأسلوبية بين العمانية والأدب الملتزم بالإسلام. بيروت: دارالنحوي للنشر والتوزيع.
وحيدان كاميار، تقي (۱۳۷۹ش). بديع از ديدگاه زيبايي شناسي. تهران: نشر دوستان.
الهاشمي، سيد احمد (۱۹۹۹م). جواهر البلاغة. بيروت: المكتبة العصرية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی